Hespéris-Tamuda LVI (1) (2021): 301-325

Aṭṭufūla fī tārīkh al-Maghrib al-wasīt: Qaḍāyā wamuqārabāt

Childhood in the History of the Medieval Maghreb: Questions and Approaches

الطّفولة في تاريخ المغرب الوسيط: قضايا ومقاربات

Mohamad Latif
Université Ibn Zohr, Agadir

Abstract: This study aims to investigate the privileged position that the childhood has occupied within the questions and concerns of the contemporary historian in Western universities, mainly in the Anglo-Saxon ones since nearly half a century. It also aims to draw attention to the state of this subject in relation to Moroccan historical research, by focusing on specific types of referential sources related to the history of the childhood during the medieval period, and to identify some of the cultural and social issues that are mentioned in them. Furthermore, the study provides remarks on the methodological problems concerning the available materials. All this is intended to contribute to the foundation of the History of Childhood in the Maghreb countries, respond to the possibilities and limits of this history, and push specialists in Maghreb history to revise their excessive reluctance often expressed towards research on the family in general, and on childhood in particular.

Keywords: Child, Childhood, Family, Medieval History, Maghreb.

مقدمة

إذا كانت الكثير من المواضيع التي اهتمّت بها الدّراسات والأبحاث التّاريخية قد فرضها ما تم التّنقيب عليه من مادّة علمية، وما تحقق الاهتداء إليه من مناهج بحث جديدة، فثّمة مواضيع ظلت إلى ماض قريب في دائرة اللاّمفكر فيه من قبل المؤرخ، إلى أن فرضتها انشغالات اليوم وقضايا الرّاهن، ولعلّ هذا ما ينطبق على البحث في تاريخ الطّفل.

لقد استمدّ موضوع الطّفولة أهمّيته الكبيرة وراهنيّته المعتبرة من المكانة التي أضحى يحتلّها الطّفل في المجتمعات المعاصرة، خاصة بعد التّحولات العميقة التي لحقت الأسرة والمجتمع على مختلف الأصعدة؛ فالقرن العشرين وفقا لإيجل بيشي (Egle Becchi)، هو "القرن الذي وضع الطّفولة في مركز العديد من النّظريات والأبحاث، والانشغالات البيداغوجية والصّحية والاجتماعية، أي الاهتمام بالتّفاصيل المتعلّقة بالطّفل في جميع

جوانبها؛ الأطفال من مختلف الطّبقات الاجتماعية ومن مختلف الأعمار، استأثروا بالمشهد النّفسي والتّربوي خلال هذا القرن، في محاولة لاستيعاب أفضل لخصوصياتهم وفهم أكثر لمتطلّباتهم."[1]

في خضمّ هذا السّياق العام، حظي موضوع الطّفل بدراسات متعدّدة أنجزها في الغالب علماء التّربية، وعلماء النفس، وأيضا بعض علماء الاجتماع، وفق منطلقات ومناهج خاصّة تفتقر في مجملها، حسب رأي جان لوي فلاندران (Jean-Louis Flandrin)، إلى أيّ منظور تاريخي، "فالدّراسون يريدون تحديد مستقبل طفولة لم يسبق لأحد أن كتب تاريخها."[2]

أكيد أن وعي الأسر والمجتمعات بأهمّية الطّفولة كمرحلة عمرية متميّزة، لم يكن معزولا عن حركة الزّمن وعجلة التّاريخ، فقد مرّ بمراحل تاريخية عديدة قبل أن يصل إلى المستوى الذي هو عليه اليوم. لقد كان على الطّفل أن ينتظر طويلا حتى تتطوّر العقليات وتتغيّر لكي يفرض نفسه في مقدمة القضايا الرئيسة في المجتمع وداخل الأسرة، ولكي يتّم الاعتراف به موضوعا جديرا بالبحث والاهتمام من قبل الباحثين في التّاريخ وخلال مختلف الحقب التّاريخية.[3]

1. الطّفل والطّفولة موضوعا للكتابة التاريخية

كثيراً ما وسم المؤرخون تاريخ الطّفولة بأنّه "تاريخ بلا كلمات،" وبأنّ الأطفال، بتعبير المؤرخ والأركيولوجي الفرنسي جيرار كولون (Coulon Gérard)، من أكبر مجهولي التّاريخ الاجتماعي ومنسيّيه،[4] واعتبر موريس كروبيلييه (Maurice Crubellier) تاريخ الطّفولة على أنه "تاريخ دون مؤرخ."[5]

لقد ارتبط البحث في تاريخ الطّفل بداية الأمر بتاريخ الأسرة، والذي شكل جزءا من تاريخ شاسع وأوسع هو التّاريخ الاجتماعي. ولم تظهر أولى الدراسات المتخصصة في تاريخ الطّفل إلا في بداية الستّينيات من القرن الماضي، وتحديدا في 1960 السنة التي أصدر

1. Elge Becchi & Dominique Julia, *Histoire de l'enfance en Occident, du XVIIIe siècle à nos jours* (Paris: Éd. Du Seuil, 1998), 374.

2. Jean-Louis Flandrin, "Enfance et société," *Annales. Economies, sociétés, civilisations*, 19e année, no.2 (1964): 322.

3. Girard Coline, "La reconnaissance progressive de la place de l'enfant dans la société: vers un nouveau centre d'intérêt archivistique? Les archives de productions enfantines dans les services d'archives de la région Pays-de-la-Loire" (Master 1 Histoire et document, Spécialité Archives et Métiers des Archives, Université Angers, 2017), 9.

4. Coulon Gérard, *L'Enfant en Gaule romaine*. Collection Hespérides (Paris: Editions Errance, 2004), 7.

5. Maurice Crubellier, *L'enfance et la jeunesse dans la société française 1800-1950* (Paris: A. Colin, 1979), 11.

فيها المؤرخ فيليب أرييس (Ph. Ariès) الطبعة الأولى لكتابه بعنوان: **الطفل والحياة الأسرية في النظام القديم**.[6] وهو العمل الذي عدّ إلى اليوم رائدا في مجاله، وحافظ على قوّة حضوره حتّى أنه يصعب تصوّر دراسة في تاريخ الطّفولة دونما أن تتفاعل معه لتحدّد موقعها وتميّز نفسها عنه.

اقتحم فيليب أرييس تاريخ الطّفولة من زاوية تاريخ العقليات، ومن منطلق اهتمامه بدراسة المواقف والأنساق الثّقافية واللاشعور الجماعي في تاريخ المجتمعات الأوروبية. وتتمثّل الفكرة الأساسية التي دافع عنها أرييس، في أنّ مفهوم الطّفولة لم يكن واضح المعالم طوال العصر الوسيط، وأن الشّعور بالطّفولة لم يولد إلا في القرن السّابع عشر، عندما بدأت معالم مرحلة الطّفولة تتحدّد وتتميّز عن باقي المراحل العمرية للإنسان، وبالتّدريج من أعلى السّلم الاجتماعي إلى أسفله. وعزا هذا التّغير الكبير إلى ما أصاب النّظام الدّاخلي للأسرة من تحوّل تمثل في الانتقال من الأسرة المفتوحة على مجتمع الرّاشدين إلى نموذج الأسرة النّووية المغلقة التي أضحى فيها الطّفل محور الاهتمام. وبالمثل سلّط أرييس الضوء في مؤلفه على حقيقة ظلّت غائبة على العديد من المهتمين بتاريخ الأسرة، تتلخص في أن الأفكار والمفاهيم المتعلّقة بالطّفولة ليست ثابتة، ولكنها تختلف بحسب العصور والأزمنة.

كان تأثير هذه اللّحظة التأسيسية قويا؛ إذ امتد صداها عبر آفاق تجاوزت الحيّز الأوروبي، لتعبر إلى الضّفة الأخرى للمحيط الأطلسي؛ فقد احتلّ مؤلف أرييس المكانة المتميّزة في الأسطوغرافيا العالمية، وكان من الكتابات التّاريخية الأكثر تأثيرا منذ ترجمته إلى الانجليزية عام 1962 بعنوان: **قرون من الطّفولة**.[7] أكسب الكتاب صاحبه شهرة كبيرة بين نظرائه المؤرّخين في انجلترا والولايات المتّحدة الأمريكية، إلى حدّ اعتبره عدد من الباحثين من الكتابات الرّائدة التي مارست تأثيرا كبيرا على المؤرّخين الشّباب من الأنگلوسكسونيين؛ في هذا الصّدد يقول المؤرخ بيتر گاي (Peter Gay)،[8] أستاذ التّاريخ في جامعة كولومبيا المتخصّص في تاريخ التّحليل النّفسي: "نحن مدينون إلى كتاب "قرون من الطّفولة،" ليس فقط لأنّه قدّم لنا تاريخ طفولة رائع، ولكن أيضًا لأنّه لفت انتباهنا إلى التّاريخ الذي يكتب اليوم."

6. Philippe Ariès, *L'enfant et la vie familiale sous l'Ancien Régime* (Paris: Editions Plon, 1960); rééd. (Paris: Editions du Seuil, 1973); puis dans la collection Points histoire.

7. Philippe Ariès, *Centuries of Childhood: A Social History of Family Life*, translated from the French by Robert Baldick (New York: Alfred A. Knopf, 1960).

8. Peter Gay, "Annals of Childhood," *Saturday Review* (23 March 1963): 74; Guillaume Gros, "Philippe Ariès: naissance et postérité d'un modèle interprétatif de l'enfance," *Histoire de l'éducation* 125 (2010), mis en ligne le 01 janvier 2014, consulté le 30 décembre 2018. URL: http://journals.openedition.org/histoire-education/2109.

وعلى الرّغم من الاهتمام المتأخّر للفرنسيين بكتاب فيليب آرييس، فإنّه حظي بالكثير من الاستخدام والانتقاد، فشكل منطلقا لجدل معرفي واسع ونقاشات عميقة بين المؤرّخين المتخصّصين في التّاريخ الأوروبي الوسيط، تولّدت عنها مجموعة من النّدوات والملتقيات العلمية، والأبحاث والدّراسات الغزيرة والثّرية. هذه الدّراسات، وإن اندرجت ضمن دينامية التّفاعل والمراجعة لخلاصات أرييس المتعلّقة بطفولة العصر الوسيط خاصة، فإنّها أسهمت على نحو كبير في استشكال القضايا المتعلّقة بالطّفولة، واعتناق موضوعات مبتكرة بمقاربات منهجية أكثر صرامة، أظهرت أن الطّفولة لم تكن فقط معطا بيولوجيا بل أيضا مفهوما ثقافيا وتاريخيا،[9] وأكدّت أن للطّفل خلال العصر الوسيط الأوروبي حضور تاريخي مهم وإن ظلّ دفينا ومغيّبا.

في هذا الإطار، أنجزت أطروحات ودراسات مرجعية من قبل مجموعة من الباحثين المرموقين، في طليعتهم بيير ريشي (Pierre Riché)، وكريستيان كلابيش-زوبير (Christiane Klapisch-Zuber)، ودانيال أليكسوندر-بيدون (Danièle Alexandre-Bidon)، وديديي ليت (Didier Lett)، وسيلفي لوران (Sylvie Laurent) وغيرهم، وكانت لهذه الأعمال بصمة خاصّة بوّأت تاريخ الطّفولة خلال العصر الوسيط المكانة المعتبرة في السّاحة العلمية.[10]

لقد نجحت مجمل الدّراسات المُنجزة على امتداد عقدي الثّمانينات والتّسعينات من القرن الماضي، أن تطوّق الأسئلة المنهجية المنقبضة والمشاكل النّظرية المستعصية التي اعترضت الباحث في تاريخ الطّفل خلال العصور الوسطى،[11] كما استطاعت أن تطوّر

---

9. يمكن تبين تلك الكثافة في المسار الذي قطعه تاريخ الطفولة وتحديدا خلال العصر الوسيط، من خلال المقالات النقدية والعروض البيبليوغرافية التي ضمنتها مجموعة من المجلات المتخصصة في أعدادها، من ذلك نذكر:
Pierre André Sigal, "L'histoire de l'enfant au Moyen âge: une recherche en plein essor," *Histoire de l'éducation* 81 (janvier 1999): 3-21; Marie-France Morel, "Becchi (Egle), Julia (Dominique) - Histoire de l'enfance. Tome I: De l'Antiquité au *XVII* siècle. Tome II: Du *XVIII* siècle à nos jours," *Histoire de l'éducation* 89 (2001): 127-32; Véronique Dasen, Didier Lett et Catherine Rollet, "Dix ans de travaux sur l'enfance. Bibliographie récente sur l'histoire de l'enfance," *Annales de démographie historique* 2/102 (2001): 47-100.

10. Pierre Riché, *Education et culture dans l'Occident barbare VIe-VIIIe siècles* (Paris: Éd. Du Seuil, 1962); Pierre Riché, *Être enfant au Moyen Âge Anthologie de textes consacrés à la vie de l'enfant du Vème au XVème siècle*. Collection: Pédagogues du monde entier (Paris: Éd. Fabert, 2010); Danièle Alexandre-Bidon et Monique Closson, *L'enfant à l'ombre des cathédrales* (Lyon-Paris: Presses Universitaires de Lyon-CNRS, 1985); Sylvie Laurent, *Naître au Moyen Age. De la conception à la naissance: la grossesse et l'accouchement (XIIe-XVe siècle)* (Paris: Le Léopard d'Or, 1989); Danièle Alexandre-Bidon et Didier Lett, *Les enfants au Moyen Âge, V^e^-XVe siècles*. Collection de La vie quotidienne (Paris: Hachette, 1997); Didier Lett, *L'enfant des miracles. Enfance et société au Moyen Âge (XIIe-XIIIe siècles)* (Paris: Aubier, 1997).

11. لم يقتصر هذا التأثير على إنجاز أطروحات ودراسات مهمة، بل تعداه إلى تنظيم معارض تختص بموضوع الطفل خلال العصر الوسيط. في هذا الإطار، نظم كل من بيير ريشي ودانييل أليكسندر بيدون، ما بين أكتوبر 1994 وفبراير

وتمدّد مسارات السبر في هذا الحقل العلمي الفتي، وذلك عبر اعتنائها بالعديد من القضايا التي ظلّت وإلى زمن قريب خارج اهتمامات المؤرخ؛ من ذلك تلك المتعلّقة بالمراحل السّابقة للولادة وبالطّفولة المبكرة مثل الحمل ولحظات الولادة، والرّضاعة، والإجهاض، والتّبني، والتّربية، والتّعليم، وظواهر اليُتم، والتّشغيل، وأمراض الأطفال، ومعدّلات وفياتهم. كما ارتقى المؤرخ ليلامس قضايا تندرج ضمن تاريخ التّمثلات والمواقف، فدرس مشاعر الطّفولة وأفراحها ومعاناتها، وسلّط الضّوء على دور الدّين (الكنيسة) في حياة الطّفل. وفي ذات الاتّجاه، وضع الباحثون أسئلة جوهرية استدعت تفسيرات نفسية وأنثروبولوجية، هذه الأخيرة التي كان تأثيرها مفيدا وواضحا في الكثير من الأعمال التي تمكنت من الغوص في تفاصيل الحياة اليومية للأطفال من كلا الجنسين، وحاولت أن ترصدها في مختلف أماكن حياتها (الأسرة، البادية، الحاضرة، ورشة العمل، المدرسة، وغيرها).

استند هؤلاء الباحثون في رصد واقع الطّفل في العصور الوسطى إلى النّصوص الكلاسيكية التي تأتّى تشريح مادّتها بطرق أفضل من ذي قبل، كما انفتحوا على المعطيات البالغة الأهمية التي تتيحها الأرشيفات الخورية، والمستندات العائلية، وعقود التوثيق، والابداعات الأدبية، والرّسائل الطّبية والتّربوية، والنّصوص القانونية والدعاوى القضائية، والوثائق التي تقدمها الحفريات الأثرية، واللّوحات الفنّية الأيقونوغرافيا، وشواهد القبور، والمعدّات المدرسية وغيرها من الشّواهد التي أتاح الاستخدام المتقاطع والكثيف لها تجديد وتوسيع قائمة الأسئلة التي يطرحها مؤرخ الطّفل، وإنتاج مجموعة من الأعمال الرّائدة التي تنزع إلى التّركيب وتستبعد الاقتصار على الوصف والتّكرار والانطباع.

في واقع الأمر، لا يمكن عزل ما عرفه البحث في تاريخ الطّفولة من توهج وطفرة كمّية ونوعية منذ العقدين الأخيرين من القرن العشرين عن المكانة التي حازتها قضايا الطّفل في تلك الفترة، وعن السّياق الثلاثي المتمثّل في تشظّي مواضيع البحث التاريخي وتفتّتها في قضايا الأسرة، والتكوين العابر للحقول المعرفية والقدرة الكبيرة على محاورة علوم الإنسان المجاورة،[12] والجاذبية المتزايدة التي مارسها تاريخ العقليات والتاريخ الدّيمغرافي.[13]

1995 في المكتبة الوطنية بباريس، معرضا في الموضوع، عرف نجاحا باهرا، وجلب إليه أعداد مهمة من الزوار، معرض تمخضت عنه فكرة نشر كتاب مشترك في السنة ذاتها:

Pierre Riché et Danièle Alexandre-Bidon, *L'enfance au Moyen Âge* (Paris: Le Seuil-Bibliothèque Nationale de France, 1994).

12. الطيب بياض، **الصحافة والتاريخ. إضاءات تفاعلية مع قضايا الزمن الراهن** (الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2019)، 22.

13. محمد حبيدة، **المدارس التاريخية: برلين، السوربون، استراسبورغ، من المنهج إلى التناهج** (الرباط: منشورات دار الأمان، 2018)، 104.

وفي مقابل المكانة المعتبرة التي احتلّها تاريخ الطّفل في الجامعات الغربية وخاصة منها الأنگلوساكسونية،[14] يمكن القول جملة، إن البحث في تاريخ الطّفل بالنّسبة للمغرب وربما حتّى بالنّسبة إلى باقي البلدان المغاربية الأخرى،[15] مازال حقلا علميا مهملا وشبه غائب؛ فباستثناء العناية المحدودة التي حظيت بها بعض جوانب الموضوع في شكل فصول ومباحث صغرى ضمن ثنايا بعض الدراسات العامّة في التّاريخ الاجتماعي،[16] أو دراسات محدودة ومعدودة في شكل مقالات قصيرة،[17] فقد ظل لحد الآن تاريخ الطفل خارج دائرة الكتابة التّاريخية. إذ مازلنا نفتقر، في حدود علمنا، إلى دراسة متكاملة عن الطّفل والطّفولة بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط.

والظاهر أن الدّعوات المتكرّرة للاهتمام بهذا الحقل البحثي لم تُثمر ما يكفي من التّراكم المعرفي لتحقيق قراءات أكثر شمولا وتكاملا ودقّة لتاريخ الطّفل. ويعزى السّبب في هذا التّهميش برأي البعض إلى شح المادة التّاريخية، وتشتّت المتاح منها وقصوره عن مسايرة طموحات البحث المعاصر وتطلّعاته.[18] وعلى الرغم من وجاهة هذا الرأي في بعض جوانبه، فإنه لا يصدق إلا على بعض المضان لا على غيرها، وحسبنا الرّجوع إلى ما تتيحه كتب النّوازل الفقهية والأحكام،[19] ومصنفات التّراجم والمناقب والتّصوف، والمؤلفات التّربوية

14. John Boswell, *The kindness of strangers: the abandonment of children in Western Europe from late Antiquity to the Renaissance* (New York: Pantheon Books, 1988); Shulamith Shahar, *Childhood in the Middle Ages* (London-New York: Routledge, 1990); Mayke de Jong, *In Samuel's image: child oblation in the early medieval West* (Leiden: Brill, 1996).

15. من البحوث النّادرة في الموضوع نشير: فاطمة غامان، "**الطّفل والمجتمع في تاريخ المغرب 1415-1912**،" (رسالة مرقونة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراز، فاس، 2005م)؛ محماد لطيف، **الطّفولة والتّنشئة الاجتماعية بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط** (الرباط: منشورات رابطة الأمل للطفولة المغربية، 2015م). وصدر مؤخرا كتاب **نوازل الطّفل بالغرب الإسلامي جمع وترتيب ودراسة**، لزينب الكتامي، مراجعة وتقديم نجيب العماري (فاس: منشورات مقاربات، 2019م).

16. إبراهيم القادري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذّهنيات، الأولياء** (بيروت: دار الطليعة، 1993م)، 55-66؛ حميد تيتاو، **الحرب والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العصر المريني (609-869هـ/ 1212-1465م) إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية**. سلسلة أبحاث 1 (الدار البيضاء: منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، 2009)، 397- 405.

17. مصطفى نشاط، "الطّفل والطّفولة بالمغرب الوسيط: نماذج من العصر المريني،" ضمن ندوة **الأسرة البدوية في تاريخ المغرب**، منشورات مجموعة البحث في تاريخ البوادي المغربية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 2، (القنيطرة: جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1427هـ/2006م)، 241-251؛ محماد لطيف، "تعليم الطّفل وعلاقته بوضعية الأسرة في مغرب القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي،" **مجلة أمل: التّاريخ، الثقافة، المجتمع** 30 (2004م): 17-25.

18. نشاط، "الطّفل والطّفولة،" 241.

19. تنفرد النّوازل الفقهية بمادّة ضافية عن الطّفولة في تاريخ الغرب الإسلامي، صنف مصدري لن نثير خصائصه وأهميته في هذه المقالة بعدما وضعناه في دراسة سابقة موضع الاستخدام في فصل أفردناه لقضايا الطفل خلال العصر المريني. أنظر: محماد لطيف، "**الحياة الأسرية بالمغرب الأقصى خلال العصر المريني 668-869هـ/1269-1465م**" (أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، جامعة المولى إسماعيل بمكناس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2007-2008م).

وكتب طب الأطفال التي شارفت مستويات غير معهودة في ذلك العهد، لنظفر بما لم يكن منتظرا من معلومات دقيقة كفيلة ببناء منطلقات أولية لإعادة تركيب هذا الحيّز المبتور من تاريخ المغرب الاجتماعي.

لا ندّعي من خلال هذه الدّراسة الخوض في مجمل الأسئلة الشّائكة التي يطرحها البحث في تاريخ الطّفولة بالمغرب الوسيط، ولا استغراق تفاصيل جملة القضايا المتعلّقة به، فذلك يحتاج إلى مجال يتجاوز بكثير حدود هذه المحاولة. إن ما نقترحه في هذه الدّراسة، لا يتعدى مجرد السّبر الأوّلي الذي سيكتفى فيه بلفت الانتباه إلى أصناف محددة من الرّصيد المصدري المتّصل بتاريخ الطّفل بمغرب العصر الوسيط، وتسليط الأضواء على بعض القضايا التي تثيرها وتقديم ملاحظات في شأنها، وذلك بغية الإسهام في محاولات التّأسيس لتاريخ الطّفولة ببلاد المغرب، والإجابة عن إمكان كتابته، وفي مستوى آخر، تحقيق طموح مراجعة العزوف المفرط الذي كثيرا ما أبداه أخصائيو التاريخ المغاربيين تجاه أبحاث الأسرة بشكل عام، وأبحاث الطّفولة على وجه التخصيص.

2. تاريخ الطّفولة بالغرب الإسلامي الوسيط: تاريخ دون مؤرخ

ليس الطّفل بالشّخصية المتكرّرة والكثيفة الحضور في المؤلفات الإخبارية للغرب الإسلامي الوسيط؛ فغالباً ما تقع الإشارة إليه باقتضاب شديد في تلميحات باهتة وإيماءات خجولة وردت على رؤوس أقلام لمؤرّخين بطريقة عفوية في سياق أخبار التّاريخ السّياسي. ولا يمكن عزل إسقاط أخبار الطّفل من التّاريخ ودواعي السّكوت المطبق عن الطّفولة مقارنة بالمراحل العمرية الأخرى في المصادر التّاريخية، عن بنية التّفكير التي تحكمت في إنتاج الخطاب التّاريخي، ومنطق التّصور الذي ظلّ لصيقا بالتّاريخ في حدّه التّقليدي، باعتباره تسجيلا لأحداث الماضي التي تستحق أن تحفظ، ووصف لشخصيّات فاعلة بهدف الاتّعاظ والاعتبار بها.

وعلى الرغم من العناية المعتبرة لمؤلفي هذا الجنس من التّأليف بذكر التفاصيل عن حياة الشّخصيات التّاريخية من السّلاطين ورجال الدّولة والأفراد من علّية المجتمع، والتزامهم باستطرادات في سرد الجزئيات الدّقيقة من صفات السلطان وملامح وجهه وجسمه، فلا يقدمون معلومات تخصّ طفولة السلطان أو الأمير إلا في حالات نادرة؛ حالات يتم التّركيز بواسطتها على إيراد مقتطفات موجزة ومنتقاة تندرج ضمن خطّة الإشادة بما ميّز طفولة بعضهم من مظاهر التّفرد التي تجعلها مختلفة عن الطّفولة المألوفة، وتخدم المشروع العام للدّعاية السّياسية. ويمكن تبيّن هذه الملاحظة من خلال حالة السلطان أبي الحسن المريني (731-752هـ/1331-1351م) الذي ذكر عنه صاحب **المسند** "أنه كان في صغره ملازما

لمسجد المقدسي بالعباد السّفلي، وذلک قبل البلوغ بكثير، يلازم فيه الصّلوات ويجلس لسماع من يقرأ فيه، وقلّما يُرى يلعب مع الصّبيان أترابه وقرابته، وأنه كان يتكرّر لزيارة الصّالحين في العباد العلوي، الأموات والأحياء، ويسأل عن وظائف الأعمال."[20]

وإذا كان ابن الخطيب، قد وضع عنوانا يحيل بشكل مباشر إلى الطّفل على أهم كتاب من مؤلفاته،[21] وكان قد ألّفه مجاملة للسلطان المريني أبي زيان محمد بن عبد العزيز حين تولى الحكم وهو لم يبلغ الرّابعة من عمره (774هـ/1372م)، وتقربا للقائم بأمره الوزير أبا بكر بن غازي الذي كان يحميه بالمغرب من ملک غرناطة،[22] فإنّ المتصفّح لمضامين الكتاب يجدها بعيدة عن عنوان الكتاب المعلن ومنطلقه المتمثّل في التّأصيل لمشروعية تولي الطّفل للحكم وذلک من خلال ذكر ولاية جميع أمراء المسلمين الذين بويعوا قبل الاحتلام.

إن الطّفل مستبعد إلى حدٍ كبير من المتون الإخبارية التّقليدية، لأن الأنماط الكامنة وراء السّرد والغرض من التّأليف ومنطقه لا تترک مجالًا كبيرًا لتدخله، ولا تسمح له بالظّهور على واجهة التّاريخ؛ فشخصية الطّفل لم يكن لها وزن يذكر من وجهة نظر الإخباري، لأنها ليست الشّخصية التي تتواءم مع الصّورة النّموذجية للبطل التّاريخي المهيمنة على عقلية الإخباريين في زمن العصر الوسيط. وبالمثل، تكمن مرجعية هذه الدّرجة القصوى من التغييب في نظرة المجتمع للأطفال، والتي تختزلهم في كونهم مجرد "قاصرين" يعيشون تحت الوصاية لعدم أهليتهم للتكفّل بأدوار فاعلة في الشأن العام بمختلف ميادينه، وخاصة على الصّعيد السياسي،[23] فهم يعيشون في عالم له أبعاده المختلفة التي تتدنى عن مستوى عالم الرّاشدين. إن عالم التّاريخ والثّقافة بشكل عام في العصر الوسيط هو عالم خاص بالبالغين، وبالتالي فإن المادّة الإخباريّة المتداولة والحريّة بالتّسجيل هي المتّصلة مباشرة بثقافة الرّاشد، وبشكل أكثر دقة: ثقافة الرّاشد لا الراشدة.

لقد تحكمت هذه النّظرة في بنية السّياقات الهامشية التي يظهر فيها الأطفال في الكتب الإخبارية. ومن الصّور التي حظيت بعناية الإبراز والتكرار في كتب التّاريخ، تلک التي

---

20. ابن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الحسن**، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيگيرا، تقديم محمود بوعياد (الجزائر: إصدارات المكتبة الوطنية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1401هـ/1981م)، 127.

21. لسان الدّين بن الخطيب، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوک الإسلام وما يتعلق بذلک من الكلام**، تحقيق سيد كسروي حسن (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م).

22. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، 8 (من مقدمة المحقق).

23. إبراهيم القادري بوتشيش، **المهمّشون في تاريخ الغرب الإسلامي إشكاليات نظرية وتطبيقية في التّاريخ المنظور إليه من أسفل** (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2014م)، 202.

تقدم الطّفل ضعيفا وعاجزا عن مجابهة المجاعات والأوبئة،[24] وبأنه في ذلك بمنزلة الشّيوخ والنّساء،[25] أو أنه جزء من السبايا المحصّل عليها بعد الحروب؛[26] فعبارات قتل "الوالد والولد،"[27] أو "سبي النّساء والعيّال والذّرية،"[28] وأسر "النّساء والأطفال،"[29] من العبارات الكثيرة والمطّردة في هذه المتون، والتي عادة ما يُستعان بها في سياقات نصّية محدّدة لتوضيح صور الإذلال والتّنكيل بالمتمرد أو المنهزم.

وحضر الطّفل كذلك في المصنّفات الإخبارية في لحظات الحرب ومشاهد التوسل والاستعطاف للطرف الغالب، إذ اعتاد أهل بعض المدن أن يخرجوا الصّبيان من الكتاتيب على رؤوسهم الألواح وبين أيديهم المصاحف،[30] ليلتمسوا عفو الأمير أو المهاجم أو المحاصر في حالة غزو المدينة واكتساحها.[31]

من الطبيعي، وفق هذا التّصور، أن يكون حضور الطّفل باهتا وطارئا وظرفيا، بل ومنعدما في كثير من المصنّفات المنتمية إلى هذا النوع المصدري. وعليه، فتبيّن مواطن حضوره وإقحامه في بعض النّصوص هو الحريّ بالتّساؤل، وليس العكس. إن صمت الإخباري عن ذكر الأخبار المتعلّقة بالطّفل والطفولة، ليس في أي حال من الأحوال متعمّداً، ولا يجب أن يدفعنا إلى الاعتقاد بأنّه تعبير عن عدم اهتمام مغاربة العصر الوسيط بالطّفل. وهذا ما سنحاول إثباته وملامسته عبر إعطاء لمحة عن حضور الطّفل في بعض أصناف المصادر الأخرى.

3. الطّفولة، قلق طبّي وانشغال تربوي

لطالما اعتبرت كتب الطّب أيام الطّفولة من المراحل العمرية المتّسمة بالضّعف والهوان؛[32] فالطّفل يحتاج إلى العناية والاهتمام لأنه الكائن الهش داخل الأسرة الأكثر

---

24. ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين**، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنيبر وعبد القادر زمامة (الدار البيضاء-بيروت: دار الثقافة - دار الغرب الإسلامي، 1406هـ/1985م)، 325.

25. ابن خلدون، **المقدمة** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م)، 259.

26. نشاط، "الطّفل والطّفولة،" 245.

27. ابن أبي زرع، **الذّخيرة السّنية في تاريخ الدولة المرينية** (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م)، 27.

28. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م)، 287، 300.

29. ابن عذاري، **البيان المغرب**، 419.

30. ابن عذاري، **البيان المغرب**، 23؛ أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، المجلد الأول، اعتنى به محمد عثمان (بيروت: دار الكتب العلمية، 2007م)، 350.

31. تيتاو، **الحرب والمجتمع**، 404.

32. عبد الوهاب الدبيش، "ابن الخطيب ومذهبه في حفظ صحة الطفل والشيخ،" ضمن **المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب**، تنسيق آسية بنعدادة (الدار البيضاء-الرباط: منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2011)، 19.

عرضة للأمراض والمهدّد بالموت أحيانًا منذ الولادة. لهذا كان في مقدمة انشغالات الأطباء منذ القرون المبكرة من العصر الوسيط.[33] ويكفي التّذكير هنا وبصورة خاصّة، بالأفكار والنّظريات الطّبية التي ارتسمت في فكر ابن الجزّار القيرواني (285-369هـ/898-1010م) في كتابه بعنوان: **سياسة الصّبيان وتدبيرهم**، إذ يعد من أوائل المؤلفين في هذا الاتّجاه بالغرب الإسلامي، وعند بعض من لحقه من المؤلّفين في مجال الطّب وساروا على نهجه من مثيل ابن خلصون (النّصف الأول من ق. 8هـ)،[34] وابن الخطيب،[35] والمؤلف المجهول لكتاب **الأغذية وحفظ الصّحة وتدبير الأطفال**.[36]

كثيرا ما ألحت المؤلفات الطّبية الوسيطية على ضرورة تدبير الطّفل تدبيرا مفردا، يُسلك فيه طريقا خاصا ملائما لطبائعه، ويؤمن بضعفه وقصور قواه. فعادة ما يتم تقديم الطّفل عند جل الأطّباء، باعتباره فردا له خصائص متميّزة عن الأفراد من الفئات العمرية الأخرى، وبأنّ تحقق التّربية هو بمثابة انتقال "من الطّبع المذوم إلى الطّبع المحمود،"[37] أي انتصار للثّقافة على الطّبيعة. إنها معطيات تشي بوعي أطباء الغرب الإسلامي الوسيط بخصوصية احتياجات الطّفل الصّحية والتّربوية. وفي هذا الصّدد، ركز ابن الخطيب على المعايير التي يراها ملائمة لتدبير صحة الصّبي وعلى ما هو "أوفق لطباعه."[38] وهو أمر أجمع عليه أطباء المسلمين في المشرق كما في المغرب؛ ففي توطئة مؤلّفه الطّبي، قال البلدي أبو العباس أحمد (تـ 380هـ/1021م)، إن "تدبير الأطفال والصّبيان وتربيتهم وحفظ صحّتهم ومداواة الأمراض التي تعرض لهم ليس كتدبير غيرهم، ولا مداواتهم كمداواة سواهم من ذوي الأسنان."[39]

ومن هذا المنطلق، اعتنى الأطباء بصفة خاصة بوضع تحديدات دقيقة تميز بشكل واضح بين الأعمار المختلفة للطّفولة حتى تتحقق المعرفة الجيّدة باحتياجات كل مرحلة عمرية

---

33. الحاج قاسم محمد، "أقدم مخطوطة باللغة العربية في طب الأطفال،" **مجلة المورد** 4، المجلد 6 (1398هـ/1977م): 486-487.

34. أبو عبد الله محمد بن خلصون، **كتاب الأغذية وحفظ الصحة**، الخزانة الحسنية، الرباط، رقم: 12250 ز.

35. **كتاب الوصول لحفظ الصحة في الفصول**، اعتمدنا على النصوص المنتخبة والمتعلقة بصحة الأطفال كما أوردها محمد العربي الخطابي ضمن كتاب **الطّب والأطباء بالأندلس الإسلامية** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988م)، 118-121.

36. مؤلف مجهول، **كتاب الأغذية وحفظ الصّحة وتدبير الأطفال**، الخزانة الحسنية، الرباط، رقم: 13150 ز.

37. ابن الجزّار القيرواني، **سياسة الصّبيان وتدبيرهم**، 113. نقلا عن محمد العربي الخطابي، **موسوعة الفكر العربي الإسلامي**، الجزء الأول (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م)، 212.

38. العربي الخطابي، **الطّب والأطباء**، 118-121؛ الدبيش، "ابن الخطيب ومذهبه،" 19.

39. البلدي أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى، **كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصّبيان وحفظ صحّتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم**، قرأه وعلّق عليه يحي مراد (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004)، 14.

ولجعل التّربية أكثر فاعليَّة. ومن المفيد أن نسجّل وجود اختلافات طفيفة في تحديد بداية الطّفولة ونهايتها، والمراحل التي ينقسم إليها عُمر الطّفل.[40] ويبدو أنه اختلاف وتعدّد ورثه أصحاب هذه المؤلّفات عن المصادر الإغريقية عند تقسيمها لأعمار الحياة وفق تصوّرات قد تحتلّ فيها الطّفولة مكانة مهمة، كما قد يتم التّفصيل فيها بتحديد قسماتها بدقّة مع ربط كل قسمة بواقع النّمو الجسمي والحسّي النّفسي للطّفل قبل الانتقال إلى مرحلة البلوغ.[41]

واهتمّت هذه المصنّفات بصورة عامَّة، بتتبع مختلف مراحل نمو الطّفل الحسّي والجسمي، وما يرافق ذلك من تغيُّرات في احتياجاته ومُتطلّباته حتى بلوغه "سن الرّعرعة" الذي يوافق ما حدّده ابن خلدون بسن الرّابعة عشر.[42] كما قدمت تفصيلات عن ما يطرق الطّفل طوال مراحل نموه من علل وأسقام ومخاطر وصعوباتٍ مُرتبطةٍ بالصّحة والتّنشئة، وعن نوع الأدوية والعلاج. وإذا كانت بعض المقالات الطّبية قد اقتصرت على بيان الجوانب الصّحية من حياة الطّفل، فإن بعضها الآخر، على غرار ما جاء عند ابن الجزّار وابن خلصون، نحت منحا تفصيليا يقوم على تقديم مجموعة من النّصائح والمبادئ في تأديب الصّبيان ورياضة أخلاقهم حسب اختلاف طبائعهم.

ومن ناحية أخرى، وفضلا عن اهتمام هذه التّصانيف بالجوانب التي يشترك فيها كل الصّبيان، لابد أن نشير إلى ذلك الاعتناء الخاص الذي أظهره بعض الأطباء بمرحلة الطّفولة المبكرة، وبما يرتبط بها من معرفة تتعلق بظروف الحمل، وطرق التّوليد، وشؤون المواليد ولحظة الرّضاعة ثم الفطام، وبداية الكلام، وما يصيب الصّبيان من الأمراض.[43] والواضح أن هذا الاهتمام جعل خطاب الأطباء – وإن طغى عليه في الغالب القول النّظري – يكون موجّها بالدّرجة الأولى إلى القوابل، وذلك بغية التّأكيد على سلامة فعلهنّ وتجويد تدخلاتهنّ، وموجّه كذلك في مستوى آخر إلى المرأة الحامل، وإلى الأمهات بشكل عام؛ فالأم هي الشّخصية

---

40. يُقسّم ابن سينا سنّ الحداثة إلى: "**سن الطّفولة**: وهو أن يكون المولود بعد غير مستعد الأعضاء للحركات والنّهوض، وإلى **سن الصّبا**: وهو بعد النّهوض وقبل الشّدة، وهو أن لا تكون الأسنان استوفت السّقوط والنّبات.ثم **سن التّرعرع** وهو بعد الشدة ونبات الأسنان قبل المراهقة، ثم **سن الغلامية والرهاق** إلى أن يبقل وجهه. ثم **سن الفتى**: إلى أن يقفل النمو." **القانون في الطب**، الجزء الأول، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي (بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م)، 24-25.

41. يورد أبو العباس البلدي في بداية مقالته الأولى، أن الأطباء والفلاسفة الأولين "يريدون بقولهم طفل: الإنسان منذ ابتدأ تكوينه في الرحم إلى أن يأكل ويشرب، وتقوى أفعاله الطبيعية على هضم الأغذية، وتقوى أفعاله الحيوانية والنّفسانية، وحركاته ومشيه، وهذا الاختلاف دقيق، ويريدون بقولهم صبيّ: الإنسان منذ كونه وإلى حين بلوغه سنّ الشباب، وذلك عند إتمام إحدى وعشرين سنة من عمره، وهذا اختلاف فيه أيضا. غير أن جالينوس لخّص السّبع السّنين الأواخر من سني الصّبيان في الاسم بسن الفتيان." البلدي، **كتاب تدبير الحبالى**، 14.

42. الدبيش، "ابن الخطيب ومذهبه،" 21.

43. انظر مثلا: مـؤلف مجهول، **كتاب الأغذية وحفظ الصحة وتدبير الأطفال**.

المسؤولة عن صحّة أولادها حسب النصوص الطبية، سواء فيما يخص الرّعاية التي توفرها لهم، أو ما يتعلق بالمعرفة والخبرات التي عليها نقلها إلى بناتها، أمهات المستقبل.

وعلى صعيد آخر، تتيح العديد من الرّسائل التّربوية التي أنتجها مغاربة العصر الوسيط، استكمال الكثير من الجوانب المتعلّقة بتاريخ الطّفولة في ذلك العصر؛ إذ تكشف منذ البداية عما تملّك المغاربة من هاجس السؤال عن قضايا تأديب الطّفل وتهذيبه، وتدبير أموره، وتربيّته وتعليمه، وأفرد مؤلّفوها لهذه القضايا والأسئلة رسائل تقدّم ما تمّ إنتاجه من أفكار تربوية ومناهج وأساليب التّعليم وطرقه، وكثيرا ما تداخل فيها المنقول أو المأثور عن السّلف بالآراء الشّخصية. وتكفي العودة في هذا الشأن، إلى محمد بن سحنون (تـ 258هـ/872م) في آدابه، وإلى أبي الحسن علي القابسي (تـ 403هـ/1013م) في رسالته، وأبي بكر المعافري الأندلسي (تـ 546هـ/1152م)، والشّوشاوي (حوالي القرن السابع الهجري)، وبعد كل هؤلاء وغيرهم، ابن خلدون وأحمد بن أبي جمعة المغراوي (تـ 920هـ/1514م) صاحب **جامع جوامع الاختصار والتّبيان**.

وعلى عكس المؤلّفات الطّبية، لم تحظ الطّفولة المبكرة بالاهتمام الكبير في معظم المؤلّفات التّربوية، ربما لأنّ الصّبي يُعهد طوال سنوات عمره الأولى إلى النّساء. إن الطّفل الذي كان يهم المربي في المقام الأول هو الذي في "طور التمييز،" الطّور الذي يبدأ عادة في السنة السّابعة من العمر، وهي المرحلة السَنية التي تعتبر في نظر بعضهم لحظة بداية التّربية، ففيها يجب أن يُدفع الطّفل إلى الكتاب، ويبدأ بحفظ القرآن،[44] ويتدرب على أشكال الممارسات والشّعائر الدّينية، ويُتدرج في قهره وزجره، ويمكن أن يتعرض للعقوبة على قدر احتماله لها،[45] وابتداء من هذه السّن، يُنصح كذلك بضرورة الفصل بين الأطفال الذّكور والإناث في المضاجع.[46]

هذه المؤلّفات، وبالرغم مما يمكن تسجيله بخصوصها من نقول واقتباسات طويلة في بعض الأحيان، وبالرغم مما توحي به مجمل مضامين فصولها من رغبة كبيرة في معرفة الطّفل

44. أبو الحسن علي القابسي، **الرّسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين والمتعلّمين**، دراسة وتحقيق وتعليق وفهارس أحمد خالد (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1986م)، 87. وضمن الوصيّة التي كتبها ابن الجنّان على لسان ابن هود لأخيه: "ومروهم بأن يعلموا أولادهم كتاب الله تعالى، فإن تعليمه للصّغار يطفئ غضب الرب، ونعم الشفيع هو يوم القيامة." أحمد بن محمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، وذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب**، المجلد السّابع، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار صادر، 1388هـ/1968م)، 413-414. وفسّر ابن خلدون تقديم المغاربة للقرآن على ما سواه واعتباره مادة التّدريس الإلزامية، لما في ذلك من التّبرك والثواب، ولأنه يحمي الولدان من الشّرور التي تعرض لهم في أيام الصّبا. **المقدمة**، 463.

45. محمد بن سحنون، **كتاب آداب المعلّمين**، مراجعة وتعليق محمد العروسي المطوي، تحقيقات حسن حسني عبد الوهاب، رقم 16 (تونس: دار الكتب الشرقية، 1972م)، 81، 89؛ القابسي، **الرّسالة المفصّلة**، 92.

46. أفكار استندت إلى الأحاديث المنسوبة إلى الرّسول، من ذلك: "مروا أولادكم بالصّلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع."

بالشكل الذي يمكن من تهذيبه وتربيته "التّربية الفاضلة،" فالمتأمّل في خطاب أصحابها سواء الموجّه مباشرة للطّفل، أو الموجّه للآباء أو المؤدّبين والمعلّمين، سيكتشف أنه خطاب لا يتجاوز نطاق الأفكار المتكرّرة والأقاويل المقتصرة على إعادة إنتاج طائفة من المبادئ الأخلاقية التي تتوخى تكريس مضامين تربوية معينة وأساليب تأديبية ترسخ السّلوك الدّيني والآداب الإسلاميّة.

ومن هذه الزّاوية، فإن القيمة التّاريخية لما تقدّمه هذه المصنّفات من معطيات لا ترتكز فقط على ما أفردته من فصول كاملة للحديث عن الشّروط الأساسية الواجب توفرها في المؤدّب، وطبيعة العلاقة التّربوية والأخلاقية التي يجب أن تربط بينه وبين المتعلّم، وما تسرده من أحكام تتّصل بأجور المعلّمين وشروط تحقّق "الحذقة،" بل كذلك في الصّور التي تعطيها عن تاريخ التّربية عبر تتبّع واقع الطّفل في الكتاتيب أو في المدرسة، وفيما احتوته من معلومات عن طرق التّعليم وأساليب التّلقين واختلافها بين مدارس الغرب الإسلامي،[47] والمواد الدّراسية التي لاقت التّنويه،[48] وكانت في المقابل موضع التّنبيه والتّحذير لخطورتها على سلامة عقيدة الطّفل.[49]

وبهذه الطّريقة، فإنها تدفعنا إلى القول إنّ المدرسة في تصوّر مغاربة العصر الوسيط، وإن كانت غير مخصصًة للأطفال من أعمار متقاربة فقط،[50] وغير متاحة للغالبية السّاحقة منهم،[51] لم تكن كما هي في تصورنا نحن اليوم مرتبطة بتكوين الطّفل وتنشئته وتنمية قدراته الذّاتية وإكسابه مجموعة من المهارات، بل كانت أداة غايتها الأولى تكوين "الرّجل المسلم." لقد كان الصّبي يتلقى من بين ما يتلقاه القرآن، وأحكام الوضوء، وفرائض الصّلاة وسننها،

47. لاحظ أحمد بن أبي جمعة المغراوي (تـ920هـ/1514م)، مثلا أن العرف قد جرى في الأندلس على أن يقرأ القرآن في المصحف، أما في المغرب فكان عبر اللوح. **جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلّمين وآباء الصّبيان**، تحقيق وتعليق أحمد جلولي البدوي ورابح بونار (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975)، 19.

48. يورد ابن خلدون في هذا الشأن أن التّركيز على القرآن في الكتاتيب وعلوم الخط في المدارس هو "مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر، أمم المغرب، في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حدّ البلوغ إلى الشّبيبة." وأما أهل الأندلس فكانوا لا يقتصرون على القرآن فقط "بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشّعر في الغالب والترسل، وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب. ولا تختص عنايتهم في التّعليم بالقرآن دون هذه، بل عنايتهم فيه بالخطّ أكثر من جميعها، إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشّبيبة،" **المقدمة**، 462.

49. من ذلك الإجماع على تجنيب المتعلّمين "من الشعر ما فيه الغزل وما يتغنى به لأن ذلك يلهب شهواتهم،" المغراوي، **جامع جوامع الاختصار**، 9.

50. أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، الجزء الثامن (الرباط-بيروت: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية - دار الغرب الإسلامي، 1401هـ/1981م)، 245.

51. لطيف، **الطفولة والتنشئة الاجتماعية**، 61.

وصلاة الجنائز والاستسقاء والخسوف،[52] كما كان عليه الانكباب على استظهار كتب موجّهة للغاية ذاتها. وفي هذا الصدد، نشير إلى أن القاضي عياض (تـ 544هـ/1149م) ألّف، بناء على رغبة من بعض المعلّمين، كتاب **الإعلام بقواعد حدود الإسلام**، جمع فيه "فصول سهلة المأخذ، قريبة المرام،"[53] بلغة واضحة وبسيطة غير بعيدة عن مدارك الأطفال تهدف تلقينهم تربية دينية منذ الصّغر. ويبدو أن هذا الكتاب لقي اعتبارا كبيرا، واحتلّت قراءة فصوله واستظهار مادّته الصدارة لدى المغاربة حتّى في القرون اللاحقة.[54]

إن تنزيل مختلف المتون والآراء التّربوية في الأفق الذّهني الذي أنتجها، يُعبّر بجلاء عن مدى ارتباطها بالإنتاج الفقهي السّائد الثقافي أو المستولي الفكري العام في ذلك العصر، والذي جعل من واجبه توحيد مظاهر السّلوك بتحديد أشكال التّربية المحمودة ونبذ الأخلاق المرفوضة والمذمومة التي يعتبرها انزياحا عن الدّين. لقد دفع هذا التوجّه وهذه الغاية الفقيه، مُنتج هذا النوع من المصنّفات، إلى اعتماد آلية خطابية تتكرّر في مجمل أبواب الكتب التربوية، آلية مصبغة بسمة الجبر، لها منطقها الخاص القائم بالدّرجة الأولى على عرض مختلف التوجيهات والأفكار المتعلقة بتهذيب الطفل وتعليمه وفق بنية سرديّة وصيّاغة أسلوبيّة تُغالي في استعادة مقاطع مستمدّة من سيرة النبي واستحضار الأحاديث المنسوبة إليه، وتسهب في ترديد روايات تمّ شحنها رمزيا، تصوّر إيجابيا الجوانب السلوكيّة لسيرة السّلف، وتبرز قيمتها وفضائلها بشكل يجعلها منبع السّلوك النّموذج الذي يجب أن يُحتدى به في طرق التّربية وأساليب التّنشئة.

وإذا كانت المؤلفات التّربوية المكتوبة أساسا من قبل الفقهاء تركز على الجوانب المتعلّقة بتعليم الطفل وعلاقته بالمؤدب، فهناك مؤلفات أخرى تندرج ضمن ما يعرف بأدب الوصايا، تشترك مع الصّنف الأول في الاهتمام بتنشئة الطفل وتربيّته التّربية الدّينية، لكنّها مباينة لها من ناحية اهتمامها بالطفل من داخل الأسرة، مما جعلها تكشف عن جوانب تهمّ اتّجاهات التّربية والعلاقة بين الآباء والأبناء، وتعكس أشكال الانشغال الأسري بالأبناء في ذلك العهد.

---

52. الونشريسي، **المعيار**، الجزء الثامن، 244.

53. القاضي عياض، **الإعلام بحدود قواعد الإسلام**، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي (الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1428هـ/2007م)، 43.

54. أبو العباس أحمد القباب، **شرح الإعلام بحدود قواعد الإسلام**، الجزء الأول، دراسة وتحقيق عبد الله بنطاهر الثناني السوسي. سلسلة نوادر التراث 19 (الرباط: مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، 1435هـ/2014م)، 178.

لقد استغلّ بعض الآباء هذا الجنس الأدبي الذي عرف بـ"التهذيب الولداني" وبـ"أدب النصيحة،" بغية تقديم مجموعة من النصائح والمواعظ للموصى إليهم الأبناء. ويأتي في مقدمة هؤلاء أبو الوليد الباجي (تـ 474هـ/1081م) الذي كتب وصيّة إلى ولديه قدّم فيها مجموعة من الآراء والأفكار التّربوية التي لا تشذّ عن الاتجاهات التّربوية في عصره.[55] لقد ركز في مؤلّفه على ضرورة الالتزام بالواجبات الدّينية، فكثّف من دلالات الإشادة بالأخلاق التي تستجيب للقيم السّائدة، والآراء التي تشدّد على ضرورة إجلال الفقهاء والأئمة، والإقبال على علوم الشريعة، والتخلّي عن كتب المنطق والفلسفة، واجتناب الزواجر، والحذر من الوقوع في المحرمات. وإمعانا منه في التّأكيد على ما يلحق أخلاق الطفل من رذائل، يورد سلسلة من الاقتباسات عن بعض الوصايا التي أوصى بها بعض الأنبياء والرّسل أبناءهم، متبوعة بمجموعة من الأحاديث النبوية وأقوال السّلف من الفقهاء. وعلى نمط هذه البنية الخطابية في وصيّة أبي الوليد الباجي، سارت الوصايا اللاحقة، فكانت بمثابة إعادة إنتاج شبه حرفية للأفكار والمضامين التي أشادت بها، وإن اختلفت سياقات الكتابة وأغراض منتجيها؛ ومن ذلک وصيّة لسان الدّين بن الخطيب لأولاده الثلاثة.[56]

إن النّاظر في مجمل المؤلفات التي وصلتنا من هذا الصّنف، سيلاحظ بجلاء حرص كتابها على صيّاغة المتن وتشكيل الأفكار التي تثير المستقبل وتلفت انتباهه؛ فالأب مثلا، وهو يقدّم وصاياه ونصائحه كثيرا ما يبخّس الحاضر والمستقبل أمام الابن، ويستحضر الموت ويذكر بيوم الحساب والعقاب. وفي هذا الصدد، نورد ما نصح به ابن الخطيب أبنائه حين قال: "فلا تستنزلكم الدّنيا، وابذلوا دونه النفوس فعل المهتدين، فلن ينفع متاع بعد الخلود في النار أبد الآبدين، (...) ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الأولاد عن الوالدين، اللهم قد بلغت فأنت خير الشاهدين."[57]

من الواضح أنّ هذا النوع من المتون صدرت في الغالب من قبل علماء بارزين كانت لهم قيمة اجتماعية متميّزة وقدر كبير من الاعتبار والهيبة والمنزلة الرّفيعة، لهذا فالغالب على الظّن أن ما قدّموه عبرها من نصائح وتوجيهات تخصّ الطفولة لا يتعلّق بالأمور الذّاتية أو الأسرية الخاصّة الهادفة إلى نقل تجربة الآباء إلى الأبناء وإعداد مستقبلهم فحسب، بل كانت بمثابة مرجعيات لها وظيفة اعتبارية وقيمة وعظية سعت في المقام الأول إلى إخضاع تربية

55. أبو الوليد الباجي، **النّصيحة الولدية وصية أبي الوليد الباجي لولديه**، تحقيق إبراهيم باجوس عبد المجيد (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، 1421هـ/2000م).

56. أوردها أحمد بن محمد المقري في كتابيه: **نـفح الطيب**، المجلد السّابع، 392-405؛ **أزهار الرياض في أخبار عياض**، المجلد الأول، تحقيق مصطفى السقـا وإبراهيم الأبـياري وعبـد الحفـيظ شلبي (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1939م)، 320-336.

57. المقري، **نـفح الطيب**، المجلد السابع، 396.

الطفل وقضاياها لمنظومة محدّدة شكلت الأساس الوحيد للاعتبار الاجتماعي. فالدّارس للمضامين الواردة في هذه الآثار يكتشف مدى حرص الموصي على البحث لوصاياه عن المستند النّصي (قرآن، حديث، سير الصحابة...) الدّاعم لأركانها، وذلك من أجل أن يضفي عليها سمة متعالية حتى تكون لها الغاية التأثيرية النّاجعة وتكتسب، تبعا لذلك، أهمّيتها الدّينية والاجتماعية.[58]

وإذا كانت الوصايا الولدية، تنزع في جزئها الكبير إلى التعبير الصّريح عن آمال الوالد من الولد أكثر مما تحيل على الحياة الواقعية للطفل، فإن البعض من فقراتها يثبت أنها غير منتزعة من إطارها التاريخي وملتبسة بطموحات التّرقي الاجتماعي لبعض البيوتات ومشاغل حياتها اليومية؛ ويمكن الاستدلال على ذلك، بما حظيت به مسألة تعليم الطفل من اهتمام. وفي هذا الصدد، حضّ أبو الوليد الباجي ابنيه على الإقبال على العلم لأنه "سبيل لا يفضي بصاحبه إلا إلى السّعادة، ولا يقصر به عن درجة الرّفعة والكرامة، قليله ينفع، وكثيره يعلي ويرفع."[59] وهو ما نصح به أيضا ابن الخطيب أبنائه حين قال "العلم وسيلة النّفوس الشّريفة، إلى المطالب المنيفة، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة، (...) والسّبيل في الآخرة إلى السّعادة، وفي الدّنيا إلى التّجلة عادة، والذخر الذي قليله ينفع، (...) فالتمسوه لبنيكم، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم، (...) واختاروا من العلوم التي ينفقها الوقت، ما لا يناله في غيره المقت (...)، وإياكم والعلوم القديمة، والفنون المهجورة الذميمة، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكا، ولرأيا ركيكا، ولا يثمر في العاجلة إلا اقتحام العيون، وتطريق الظّنون، (...)، هذا ابن رشد قاضي المصر ومفتيه، وملتمس الرشد ومولّيه، عادت عليه بالسّخطة الشّنيعة، وهو إمام الشّريعة، فلا سبيل إلى اقتحامها، والتورّط في ازدحامها."[60]

لن نستطرد في رصد مختلف محاور هذه المؤلفات، لأن ذلك سينفتح بنا على قضايا أخرى تندرج ضمن خطط بحثية مغايرة لهذه المقالة وإشكالياتها. غير أنه من المفيد الإشارة إلى أن المؤلّفات التّربوية وحتّى الوصايا الولدية، وإن حرصت على إثارة مختلف الجوانب المتّصلة بتربية الطفل وتعليمه، لابد أن نسجل بخصوصها أن نصائحها موجّهة في المقام الأول للطفل الذّكر، ولم تحظ الأنثى إلا بمساحة ضئيلة للغاية؛ ففي الحالات القليلة التي يستحضر فيها المؤلف الأنثى، كثيرا ما ينطلق منها ليمرّ إلى المواقف والتّمثلات المحكومة

58. وهو أسلوب متبع من قبل الفقهاء في مختلف القضايا الاجتماعية. للمزيد من التوضيح، راجع: نادر حمامي، **إسلام الفقهاء** (بيروت: رابطة العقلانيين العرب ودار الطليعة للطباعة والنشر، 2006م)، 16؛ ناجية الوريمي، **زعامة المرأة في الإسلام المبكر بين الخطاب العالم والخطاب الشّعبي**، سلسلة معالم الحداثة (تونس: نشر دار الجنوب، 2016م)، 14، 19.

59. الباجي، **النّصيحة الولدية**، 23-22.

60. المقري، **نفح الطيب**، المجلد السابع، 399-401.

بالخلفيات الذّكورية الصّارخة المتّصلة بالنّساء، فيتّخذها ذريعة للخوض، على نحو شديد الكراهية للنّساء، في طبيعة المرأة، وفيما علق بها من صور الدّونية والسّلبية.[61]

من ناحيّة أخرى، وإذا كانت النّصائح التّربوية الموجّهة للطفل الذّكر نصائح ترسّخ تربية أكثر نشاطًا وأكثر انفتاحًا على العالم الخارجي، فإن مثيلاتها الموجّهة لتربية الأنثى على قلتها، تركز على حمايتها من ميولاتها الطبيعية "الشريرة" وجاذبيتها للأمور التي قد توقعها في "المحظور." يقول القابسي: "أما تعليم الأنثى القرآن فهو حسن ومن مصالحها، فأما أن تعلم التّرسل والشعر وما أشبهه، فهو مخوّف عليها. وإنّما تعلّم ما يرجى لها صلاحه، ويؤمن لها من فتنته، (...) فعلى هذا يُقتبل في تعليمهن الخير الذي يؤمن عليهنّ فيه، وما خيف عليهنّ منه، فصرفه عنهنّ أفضل لهنّ، وأوجب على متولي أمرهنّ."[62]

4. الطّفل في المتن المناقبي: الطّفولة الصّعبة

وتعتبر كتب المناقب والتّصوف من المصنّفات الدّفينة التي لا غنى عنها للباحث في تاريخ الطفل بالمغرب الوسيط؛ لأنها تتضمّن بين ثناياها نصوصاً تاريخية تعكس أوضاعا متعدّدة تمكن الباحث من النفوذ إلى أعماق الحياة اليومية للأسر، ومن جانب آخر تحتفظ بمعطيات غنيّة وإفادات قيّمة تغطّي فضاءات اجتماعية واقتصادية متنوّعة تكشف عن جوانب مهمّة من تاريخ أطفال الأسر الفقيرة وأطفال البادية الذين يشكلون الغالبية العظمى من الأطفال بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

صحيح أن سيّر بعض المتصوّفة قد تسمح أكثر من غيرها بالوقوف عند معطيات مهمّة عن مرحلة الطفولة، غير أن صيغة المرويات التي تنمّ عن دلالات ومواقف محمولة أكثر على الرّمز، تستلزم تعاملا خاصا بإجراء مجموعة من التعديلات المنهجيّة الضّرورية من أجل الاستنطاق والتّطويع قصد استدرار مخزونها التّاريخي والأنثروبولوجي على السّواء.[63] فعلى الباحث أن يقرأها وبحذر شديد، ويأخذ في الاعتبار الرّوايات المتكرّرة والنّمطية التي تعيد إنتاج النّمط المثالي للقداسة عبر تمثّل النّموذج النّبوي (تكرار وتعدّد الكرامات التي تستحضر اليُتم، والرّعي، وحياة الشّقاء والمعاناة...)،[64] وعبر ما تنسجه حول الصّوفية من

---

61. المقري، **نـفح الطيب**، المجلد السابع، 404.

62. القابسي، **الرّسالة المفصّلة**، 95.

63. لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر** (تونس: سراس للنشر، 1994م)، 6.

64. عبد الحق البادسي، **المقصد الشّريف والمنزع اللّطيف في التّعريف بصلحاء الرّيف**، تحقيق سعيد أحمد أعراب (الرباط: المطبعة الملكية، 1982م)، 58.

روايات عن حياتهم وسلوكهم ونمط تديّنهم وما نسب إليهم من خوارق تميّز طفولتهم عن أقرانهم الآخرين.

ومن الواضح، من خلال السّير التي تقدّمها كتب المناقب والتّصوف التي عادت فيها إلى مراحل النّشأة للمتصوّف أن سن السّابعة حاضر بقوّة. وكثيرا ما يقترن استحضار هذه السن بالذات بحفظ الطفل للقرآن أو ختمه، أو الدّعاء له ليكون من حفظته،[65] أو أن يظهر تميّزا والتزاما صارما بالواجبات الدّينية، أو مقدرات معتبرة بل وخارقة في الاستيعاب والحفظ،[66] أي أنه على الطفل إثبات التّمايز بالقياس إلى الآخرين وأن يكون من ذوي المقدرات الحفظية الفريدة والسّلوكات الدّينية المتميّزة التي عادة ما تقترن بمرحلة الرّشد حتى تكون طفولته موضوعا حريا بالتّدوين، وتستحق الإقحام في دائرة المكتوب الضّيقة.

وتكمن أهمية النّصوص المناقبية في أنّها، وفي سياق صناعة ولاية بعض الأولياء، تعود أحيانا إلى بوادر صلاحهم المؤسّس على كرامات ظهرت في سن صغيرة. فعلامات الولاية مهما كانت مبكرة، فإن لها التّأثير الفعّال على مسار الصّلاح الفردي بالنّسبة للمترشّح للولاية.[67] ويعنينا من بين هؤلاء صالح الخرّاز وأحمد زرّوق اللّذين لم تكن المقاطع المنتقاة من طفولتهما سوى مؤشّرات وتنبّؤات على ما سيكون لهما في المستقبل من ولاية وصلاح. فالأوّل الذي عاصر عهد الدّولة المرابطيّة، "أقبل على العبادة وهو ابن سبع سنين، كان مبهوتاً أبداً، ما لعب قطّ مع الغلمان، ولا كلّمهم على سنّه حتّى مات."[68] أما الثّاني الذي عاش طفولته في النصف الثّاني من القرن التّاسع الهجري يتيم الأبوين، فقد قرّرت جدّته أن تدفعه ليتعلّم الخرازة ولم ترسله لتعلّم الحيّاكة، لأن هذه الحرفة كانت تتطلّب قدراً من النّظافة والأناقة اللّتين لم يحظى بهما زرّوق في طفولته، فما بلغ العاشرة من عمره حتى تعلّم تلك الصّنعة، وأصبح مستقلا في كسب قوته كصبيّ خرّاز بعد وفاة جدّته.[69]

---

65. أبو العباس أحمد الماجري، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح** (القاهرة: المطبعة المصرية، 1923م)، 321؛ ابن تگلات، "**إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين**" تحقيق ودراسة محمد رابطة الدين (رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1986م)، 271-280؛ البادسي، **المقصد الشّريف**، 55.

66. مؤلف مجهول، **التّعريف بالشيخ أحمد البرنسي المعروف بزرّوق**، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم 2100 د، (ضمن مجموع)، 279-283؛ أحمد زرّوق، **كنّاشة**، مخطوط الخزانة العامة الرباط، رقم رقم 1385 ک، (ضمن مجموع)، 57-103.

67. رحال بوبريک، **بركة النّساء. الدّين بصيغة المؤنث** (الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 2010م)، 163.

68. بوتشيش، **المغرب والأندلس**، 62.

69. أحمد زرّوق، **عدة المريد الصّادق من أسباب المقت في بيان طريق القصد وذكر حوادث الوقت**، دراسة وتحقيق إدريس عزوزي، ضمن كتاب **الشيخ أحمد زرّوق وآراؤه الإصلاحية** (الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1998م)، 26؛ زرّوق، **كنّاشة**، 57-103.

ولا شك أن مدوّني سير المتصوّفة وكراماتهم يدركون جيداً أنّهم يقدّمون طفلا خارج المألوف تماما؛ "الطفل-المتصوّف،" فهو متصوّف وصاحب كرامات أولا قبل أن يكون طفلا، لذلك يركزون وبقوّة في التّرجمة له على الجوانب التي تضفي على طفولته طابعا مؤلما وتراجيديا. ويمكن تبيّن ذلك في حالات العديد من المتصوّفة الذين توحي سيرهم على نوع من النّمطية التي تنطلق من الطّفولة الصّعبة والتّعيسة والتي يبدو أنها موجّهة سلفا إلى مجال القداسة.

ومن جانب آخر، تقدم بعض الروايات المناقبية طفولة المتصوّف باعتبارها لحظة من التوتّر الشّديد مع أفراد الأسرة، وتجعل من ذلك التوتّر خطوة أساسية في طريق الولاية. ويكفي التّذكير في هذا الشّأن، بحالة أبي العباس السّبتي (تـ 601هـ/1205م) الذي قال: "كنت بمدينة سبتة يتيما وكانت أمّي تحملني إلى البزّازين فأفرّ منهم إلى مجلس أبي عبد الله الفخّار، فتضربني، إلى أن قال لها أبو عبد الله الفخار: لم تضربين هذا الصّبي؟ فقالت له: إنه يتيم ويأبى أن يعمل شغله (...)"[70] وأبي مدين شعيب الأنصاري (ت 594هـ/1198م) الذي أورد عنه ابن الزيات قوله: "كنت بالأندلس يتيما. فجعلني إخوتي راعيا لمواشيهم فإذا رأيت من يصلّي أو يقرأ أعجبني ودنوت منه وأجد في نفسي غمّا لأنني لا أحفظ شيئا من القرآن ولا أعرف كيف أصلّي. فقويت عزيمتي على الفرار لأتعلّم القراءة والصّلاة. ففررت، فلحقني أخي وبيده حربة. فقال لي: والله لئن لم ترجع لأقتلنّك فرجعت وأقمت قليلا ثم قويت عزيمتي على الفرار ليلا. فأسريت ليلة وأخذت في طريق آخر، فأدركني أخي بعد طلوع الفجر. فسلّ سيفه عليّ وقال لي: والله لأقتلنّك وأستريح منك فعلاني بسيفه ليضربني. فتلقّيته بعود كان بيدي فانكسر سيفه وتطاير قطعا. فلمّا رأى ذلك قال لي: يا أخي اذهب حيث شئت."[71]

ومن المفيد أن نسجّل من خلال مضامين سير المتصوّفة أعلاه ملاحظتين تبدوان هامّتين؛ الأولى تتعلق بأن الرّوايات تربط بداية تجرُّؤ الطّفل على إعلان التّمرد عن الأسرة بالمرحلة الثّانية من الطّفولة أي ما بعد عمر السّت والسّبع سنوات، والتي تتوافق وفق تحديدات الأطباء والتّربويين وسن التّمييز. والثّانية أن هذا الانتهاك لسلطة الأب أو الأم أو الإخوة كما في حالة أبي مدين شعيب الأنصاري، لم يقع إلا بعد تردّد كبير؛ انتهاك تم إضفاء الشّرعية عليه عندما قرنته الرّواية بظهور الكرامة وبربطه بالرّغبة في التّحرر من أدوار

70. ابن الزيات، **التّشوف إلى رجال التّصوف وأخبار أبي العباس السّبتي**، تحقيق أحمد التوفيق (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1984م)، 459.

71. ابن الزيات، **التّشوف**، 320؛ ابن قنفد، **أنس الفقير وعز الحقير**، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي وأدولف فور (الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965م)، 11.

الطّفل داخل الأسرة والإصرار على التّفرغ للتعلّم وحفظ القرآن. إنه حدث منسجم مع واقع البادية المتميّز بمكانة مختلفة للطّفل يكون بمقتضاها أكثر فعاليّة وحضورا في العمليّة الإنتاجية.

إن التّمرد على الأب أو الأم أو الإخوة الذي عادة ما يتم الإعلان عنه في مرحلة الطّفولة، لا يلبث أن يكون انقطاعا صريحا وينفجر اثناء مرحلة المراهقة. إنه مسار قد نقول إنه إلزامي في طريق ولاية بعض المتصوفة وصلاحهم، ويكشف عن التعارض بين قيمتين ثقافيتين. إن رفض القرابة الدنيوية يؤكد على "القداسة."

وتبقى معلومات بعض السير من النوعية المتميّزة، إذ يحدث أن يقدّم رواتها معطيات عن علاقة كبار الأسرة بصغارها والحوارات التي تدور بينهم. كما تلقي كرامات المتصوّفة التي ترتكز في بعض تفاصيلها على حضور الأطفال أضواء كاشفة على المشاعر اتّجاه الطفولة، فهي تبيّن لنا آباء وأمّهات حاضرين مع الأطفال حين تتهدّدهم المخاطر،[72] وتؤكد أن ردود الفعل العاطفية هي نفسها سواء كانوا ذكورا أو إناثا.[73] مثلما تكشف عن الصّعوبات والأخطار التي واجهت الأطفال من حوادث، وأمراض، وإعاقات، ويُتم (...) إن النص المناقبي عادة ما لا يقدم الأسرة إلا أثناء اللّحظات الحرجة من حياتها، أي عندما ترتبك بنيتها وينتاب الاختلال أدوار أفرادها، فالعديد من الرّوايات تقدم أطفالا ضحايا الطّلاق أو بآباء وأمّهات أنهكهم الفقر والمرض، وأسر أطفالها يتهدّدهم الموت أو الإعاقة، ويكون لهم دور هام في تحمل الوضع.[74]

خلاصة

في ختام هذه الدّراسة، نجمل الخلاصة العامّة التي يمكن للباحث أن يستنتجها من حصيلة ما تمت إثارته من قضايا في نقطتين أساسيتين: الأولى هي أن التّحدي المتمثّل في كتابة حياة يومية للطفل بالغرب الإسلامي يبقى صعب التحقيق بنفس الدّرجة من الرّصد والتّوثيق كما هو الشأن في الفترة الحالية، فأن نتوسّل من المصادر التّاريخية الوسيطية بمختلف أنواعها إرضاء انشغالات الرّاهن وفضول وأسئلة مؤرخ اليوم، يظل أمرا مستعصيا ورهانا بعيد المنال. ولذلك فالدّارس لماضي الطّفولة مدعو في كل مرة إلى نوع من الارتحال داخل مختلف الأنواع المصدرية، ومفروض عليه دمج مصادر كتبت في سياقات متباينة ومتباعدة

72. محمد بن عبد الكريم التميمي، **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تحقيق محمد الشريف (تطوان: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، 2002م)، 20.

73. ابن قنفد، **أنس الفقير**، 88.

74. ابن تگلات، **إثمد العينين**، 243؛ أبو العباس أحمد العزفي، **دعامة اليقين في زعامة المتّقين**، (مناقب الشيخ أبي يعزى)، تحقيق أحمد التوفيق (الرباط: مكتبة خدمة الكتاب، 1989م)، 51؛ ابن قنفد، **أنس الفقير**، 72.

زمنيا، مع ما يثيره ذلك من محاذير منهجية ومزالق التّعميم وأحكام القيمة؛ فالتّناول المتكرّر للأمثلة التي تفصل بينها قرون عديدة وسياقات مختلفة يؤدي في الغالب إلى عدم رصد التّغيرات والمستجدّات التي صاغت حياة الطّفل في كل مدة من المدد التّاريخية.

النّقطة الثّانية تتلّخص في أنه، وبعد التّأمل في المؤلفات التي تّم تصنيفها في قضايا الطّفل، اتّضح أنّها مؤلفات لا تخرج عن الإنتاج الفقهي الذي هو المهيمن الثّقافي على الوعي العام في ذلك العصر، كما وجدنا أن نصوصها تركز بالدّرجة الأولى على ما ينبغي للبالغ معرفته عن الطّفل، فخطابها في الغالب موجّه للراشد الأب، أو الأم، أو المرضعة، أو الحاضنة، أو المربي، أو المؤدّب. إنّها نصوص مشكلة تشكيلا يعبّر عن انشغالات مؤلفيها ورهاناتهم الفكرية، ولا تعبر عن الطّفل باعتباره موضوعا تاريخيا. وعليه يمكن القول إن تاريخ الطّفولة في جزئه الأكبر يبقى تاريخا للمواقف التي عبّر عنها الرّجال وتحديدا الفقهاء وكافّة المؤلفين عن الطّفل والطّفولة، تاريخ يغادر مجال الوقائع والظروف المادية لينحبس في مجال التّصورات والتّمثلات.

البيبليوغرافيا

Ad-dabīsh, ʿabd al-wahhāb. "ʾIbn al-khaṭīb wa madhhabuhu fī ḥifẓi ṣiḥḥati aṭ-ṭifl wa ash-shaykh." ḍimna *al-maʿrifa aṭ-ṭibbiyya wa tārīkh al-ʾamrāḍ fī al-maghārib*, tansīq ʾĀsiya bnʾdāda, 15-28. Ad-dār al-bayḍāʾ. Ar-ribāṭ: Manshūrāt Muʾassasat al-malik ʿabd al-ʿAzīz ʾāl Saʿūd li ad-dirāsāt al-ʾislāmiyya wa al-ʿulūm al-insāniyya-Kulliyat al-ʾādāb wa al-ʿulūm al-insāniyya, 2011.

Al-ʿAzafī, abū al-ʿAbbās Aḥmad. *Daʿāmatu al-yaqīn fī zaʿāmati al-muttaqīn (manāqib ash-shaykh ʾabi Yaʿzā)*. Taḥqīq Aḥmad at-tawfīq. Ar-ribāṭ: Maktabat Khidmat al-Kitāb, 1989.

Al-bādisī, ʿabd al-ḥaq. *Al-maqṣidu ash-sharīf wa al-manziʿu al-laṭīf fī at-taʿrīfi bi ṣulaḥāʾi ar-rīf*. Taḥqīq Saʿīd ʾAʿrāb. Ar-ribāṭ: al-maṭbaʿa al-malakiyya, 1982.

Al-bājī, abū al-walīd. *An-naṣīḥa al-waladiyya. Waṣiyyatu abī al-walīd al-bājī li waladayh*. Taḥqīq ʾIbrʾhīm Bājūs ʿabd al-majīd. Bayrūt: Dār ʾIbn Ḥazm li aṭ-ṭibāʿa wa an-nashr, 1421/2000.

Al-baladī, abū al-ʿabbās Aḥmad ibn Muḥammad ibn Yaḥyā. *Kitāb tadbīr al-ḥubālā wa aṣ-ṣibyān wa ḥifẓu ṣiḥḥatihim wa mudāwāt al-ʾamrāḍ al-ʿāriḍa lahum*. Qarāahu wa ʿallaqa ʿalayhi Yaḥyā Murād. Bayrūt: Dār al-kutub al-ʿilmiyya, 2004.

Alexandre-Bidon, Danièle et Didier Lett. *Les enfants au Moyen Âge, Ve-XVe siècles*. Collection de La vie quotidienne. Paris: Hachette, 1997.

Alexandre-Bidon, Danièle et Monique Closson. *L'enfant à l'ombre des cathédrales*. Lyon-Paris: Presses Universitaires de Lyon-CNRS, 1985.

Al-Ktāmī, Zaynab. *Nawāzil Aṭ-ṭifl bi al-Gharb al-ʾIslāmī*. Jamʿ wa tartīb wa dirāsa. Murājaʿat wa taqdīm Najīb al-ʾumārī. Fās: Manshūrāt Muqārabāt, 2019.

Al-Maghrāwī, Aḥmad ibn abī Jumuʿa. *Jāmiʿ jawāmiʿ al-ʾikhtiṣār wa at-tibyān fīmā yaʿriḍu li al-muʿallimīn wa ʾĀbāʾ aṣ-ṣibyān*. Taḥqīq wa taʿlīq Aḥmad Jallūlī al-badawī wa Rābiḥ Būnār. Al-jazāʾir: As-sharika al-waṭaniyya li an-nashr wa at-tawzīʿ, 1975.

Al-mājirī, abū al-ʿAbbās Aḥmad. *Al-minhāj al-wāḍiḥ fī taḥqīqi karāmāt abī Muḥammad Ṣāliḥ*. Al-Qāhira: Al-Maṭbaʿa al-Miṣriyya, 1923.

Al-maqarrī, Aḥmad ibn Muḥammad. *Nafḥ aṭ-ṭīb min ghuṣni al-Andalus al-raṭīb wa dhikri wazīrihā Lisān ad-dīn ibn al-Khaṭīb*. Taḥqīq Iḥsān ʿabbās. Bayrūt: Dār Ṣādir, 1968.

_____. *ʾAzhār ar-riyāḍ fī akhbār ʿiyāḍ*. Taḥqīq Muṣṭafā as-sqqā wa ʾIbrāhīm al-Abyārī wa ʿabd al-ḥafīẓ shalabī. Al-Qāhira: Maṭbaʿat lajnat at-tâlīf wa at-tarjama, 1939.

Al-Qabbāb, abū al-ʿAbbās Aḥmad. *Sharḥ ʾal-ʾiʿlām bi ḥudūd qawāʿid al-islām*. Dirāsat wa taḥqīq ʿabd ʾAllāh bntāhir ath-thanānī as-sūsī. Silsilat nawādir at-turāth 19. Ar-ribāṭ: Markaz ad-dirāsāt wa al-abḥāth wa ʾiḥyāʾ at-turāth, ar-rābiṭa al-muḥammadiya lilʿulamāʾ, 1435/2014.

Al-Qābisī, abū al-ḥasan ʿAlī. *Ar-risāla al-mufaṣṣala li ʾaḥwāli al-mutaʿallimīn wa aḥkām al-muʿallimīn wa al-mutaʿallimīn*. Dirāsat wa taḥqīq wa taʿlīq wa fahāris Aḥmad Khālid. Tūnus: Ash-sharika at-tūnusiyya li at-tawzīʿ, 1986.

Al-qāḍī ʿiyāḍ. *ʾal-ʾiʿlām bi ḥudūd qawāʿid al-islām*. Taḥqīq Muḥammad ibn Tāwīt aṭ-ṭanjī. Ar-ribāṭ: Manshūrāt wizārat al-awqāf wa ash-shuʾūn al-islāmiyya, 1428/2007.

Al-Qādirī Būtshish, ʾIbrāhīm. *Al-muhammashūn fī tārīkh al-Gharb al-ʾIslāmī, ʾishkāliyyāt naẓariyya wa taṭbīqiyya fī at-tārīkh al-manẓūr ʾilayhi mina al-ʾasfal*. Al-Qāhira: Ruʾya li an-nashr wa at-tawzīʿ, 2014.

_____. ʾIbrāhīm. *Al-Maghrib wa al-Andalus fī ʿaṣri al-murābiṭīn, al-mujtamaʿ, adh-dhihniyyāt, al-ʾawliyāʾ*. Bayrūth: Dār aṭ-ṭalīʿa, 1993.

Al-Qawrawānī, ibn al-Jazzār. *Siyāsatu aṣ-ṣibyān wa tadbīruhum. Naqlan ʿan Muḥammad al-ʿArbī al-khaṭṭābī, Mawsūʿat al-fikr al-ʿarabī al-ʾislāmī*. Bayrūt: Dār al-gharb al-ʾislāmī, 1998.

Al-Wansharīsī, abū al-ʿAbbās Aḥmad ibn Yaḥyā. *Al-Miʿyār al-Muʿrib wa al-Jāmiʿu al-Mughrib ʿan fatāwā ʾahli ʾIfrīqiyya wa al-Andalus wa al-Maghrib*. kharrajahu jamāʿatun mina al-ʿulamāʾ bi ishrāf Muḥammad Ḥajjī. Ar-ribāṭ-Bayrūt: Manshūrāt wizārat al-awqāf wa ash-shuʾūn al-islāmiyya - Dār al-gharb al-islāmī, 1981.

Al-warīmī, Nājia. *Zaʿāmat al-marʾa fī al-ʾislām al-mubakkir bayna al-khiṭāb al-ʿālim wa al-khiṭāb ach-chaʿbī*. Silsilat maʿālim al-ḥadātha. Tūnus: Nashr dār al-janūb, 2016.

An-nāṣirī, Aḥmad ibn khālid. *Al-ʾistiqṣā li akhbār duwali al-Maghrib al-ʾaqṣā*. ʾIʿtanā bihi Muḥammad ʿUthmān. Bayrūt: Dār al-kutub al-ʿilmiyya, 2007.

Ariès, Philippe. *L'enfant et la vie familiale sous l'Ancien Régime*. Paris: Editions Plon, 1960; rééd. Paris: Editions du Seuil, 1973.

_____. *Centuries of Childhood: A Social History of Family Life*, translated from the French by Robert Baldick. New York: Alfred A. Knopf, 1960.

At-tamīmī, Muḥammad ibn ʿabd al-Karīm. *Al-mustafād fī manāqibi al-ʿibād bi madīnati Fās wa mā yalīha mina al-bilād*. Taḥqīq Muḥammad ash-sharīf. Tiṭwān: Manshūrāt Kulliyat al-ʾādāb wa al-ʿulūm al-insāniyya, 2002.

Bayād, Aṭ-ṭayyib. *Aṣ-ṣaḥāfa wa at-tārīkh. ʾIḍāʾāt tafāʿuliyya maʿa qaḍāyā az-zaman ar-rāhin*. Ar-ribāṭ: Dār Abī Raqrāq li aṭ-ṭibāʿa wa an-nashr, 2019.

Becchi, Elge & Dominique Julia. *Histoire de l'enfance en Occident, du XVIIIe siècle à nos jours*. Paris: Éd. Du Seuil, 1998.

Boswell, John. *The kindness of strangers: the abandonment of children in Western Europe from late Antiquity to the Renaissance*. New York: Pantheon Books, 1988.

Būbrīk, Raḥḥāl. *Barakat an-nisāʾ, ad-dīn bi ṣīghat al-muʾannath*. Ad-dār al-bayḍāʾ: ʾIfrīqyā ash-sharq, 2010.

Coline, Girard. "*La reconnaissance progressive de la place de l'enfant dans la société: vers un nouveau centre d'intérêt archivistique ? Les archives de productions enfantines dans les services d'archives de la région Pays-de-la-Loire*." Master 1 Histoire et document, Spécialité Archives et Métiers des Archives, Université Angers, 2017.

Crubellier, Maurice. *L'enfance et la jeunesse dans la société française 1800-1950*. Paris: A. Colin, 1979.

Dasen, Véronique, Didier Lett et Catherine Rollet. "Dix ans de travaux sur l'enfance. Bibliographie récente sur l'histoire de l'enfance." *Annales de démographie historique* 2/102 (2001): 47-100.

Flandrin, Jean-Louis. "Enfance et société." *Annales. Economies, sociétés, civilisations*, 19e année, no.2 (1964): 322-9.

Gay, Peter. "Annals of Childhood." *Saturday Review* (23 March 1963): 73-4.

Gérard, Coulon. *L'Enfant en Gaule romaine*. Collection Hespérides. Paris: Editions Errance, 2004.

Ghāmān, Fāṭima. "*Aṭ-ṭifl wa al-mujtamaʿ fī tārīkh al-Maghrib 1415-1912*." Risāla marqūna, Kulliyat al-ʾādāb wa al-ʿulūm al-insāniyya, Jāmiʿat Muḥammad ibn ʿabd ʾAllāh, Ẓahr al-mahrāz, Fās, 2005.

Gros, Guillaume. "Philippe Ariès: naissance et postérité d'un modèle interprétatif de l'enfance." *Histoire de l'éducation* 125 (2010), mis en ligne le 01 janvier 2014, consulté le 30 décembre 2018. URL: http://journals.openedition.org/histoire-education/2109.

Ḥamāmī, Nādir. *ʾIslām al-fuqahāʾ*. Bayrūt: Rābiṭat al-ʿaqlāniyyīn al-ʿarab. Dār aṭ-ṭalīʿa, 2006.

Ḥubayda, Muḥammad. *Al-madāris at-tārīkhiyya: Birlīn, As-surbūn, Strasbūrg, mina al-manhaj ʾilā ʾat-tanāhuj*. Ar-ribāṭ: Dār al-ʾAmān, 2018.

Ibn abī Zarʿ. *Adh-dhakhīra as-saniyya fī tārīkh ad-dawla al-marīniyya*. Al-ribāṭ: Dār al-Manṣūr li al-ṭibāʿa wa al-wirāqa, 1972.

_____. *Al-anīs al-muṭrib bi rawḍi al-qirṭās fī akhbār mulūk al-Maghrib wa tārīkhi madīnati Fās*. Al-ribāṭ: Dār al-Manṣūr li al-ṭibāʿa wa al-wirāqa, 1972.

_____. *ʾAʿmāl al-ʾaʿlām fīman būyiʿa qabla al-ʾiḥtilām min mulūki al-ʾislām wa mā yataʿallaqu bi dhalika mina al-kalām*. Taḥqīq Sayyid Kisrawī Ḥasan. Bayrūt: Dār al-kutub al-ʿilmiyya, 2003.

Ibn al-Khaṭīb, Lisān al-dīn. *Kitāb al-wuṣūl li ḥifẓi aṣ-ṣiḥḥa fī al-fuṣūl*. ḍimna kitāb *aṭ-ṭib wa al-ʾaṭibāʾ bi al-Andalus al-ʾislāmiyya*, Muḥammad al-ʿArbī al-khaṭṭābī. Bayrūt: Dār al-gharb al-ʾislāmī, 1988.

Ibn az-zayāt. *At-tashawwuf ʾilā rijāli at-taṣawwufi, wa akhbāru abī al-ʿAbbās as-sabtī*. Taḥqīq Aḥmad at-tawfīq. Ar-ribāṭ: Manshūrāt Kulliyat al-ʾādāb wa al-ʿulūm al-insāniyya, 1984.

Ibn ʿIdhārī. *Al-bayānu al-mughrib fī akhbār al-Andalus wa al-Maghrib*, *qism al-muwaḥḥidīn*. Taḥqīq Muḥammad Ibrāhīm al-kattānī, Muḥammad ibn Tāwīt, Muḥammad Znībr wa ʿabd al-qādir zmāma. Ad-dār al-bayḍāʾ-Bayrūt: Dār ath-thaqāfa-Dār al-gharb al-ʾislāmī, 1406/1985.

Ibn Khaldūn, ʿAbd ar-Raḥmān. *Al-Muqaddima*. Bayrūt: Dār al-kutub al-ʿilmiyya, 1993.

Ibn Khalsūn, abū ʿabd Allāh Muḥammad. *Kitāb al-aghdiya wa ḥifẓ aṣ-ṣiḥḥa*. Makhṭūṭ al-khizāna al-Ḥasaniyya, ar-ribāṭ, no.12250 z.

Ibn Marzūq, Muḥammad. *Al-musnad aṣ-ṣaḥīḥ al-ḥasan fī màātiri wa maḥāsini mawlānā abī al-ḥasan*. Dirāsat wa taḥqīq María Jesús Viguera, taqdīm Maḥmūd bū ʿayyād. Al-jazāʾir: ʾIṣdārāt al-maktaba al-waṭaniyya al-jazāʾiriyya-As-sharika al-waṭaniyya li an-nashr wa at-tawzīʿ, 1981.

Ibn Qunfud. *ʾUnsu al-faqīr wa ʿizzu al-ḥaqīr*. ʾIʿtanā bi nashrihi wa taṣḥīḥihi Muḥammad al-Fāsī wa Adolphe Faure. Ar-ribāṭ: Manshūrāt al-Markaz al-Jāmiʿī li al-baḥth al-ʿilmī, 1965.

Ibn Saḥnūn, Muḥammad. *Kitāb ʾādāb al-muʿallimīn*. Murājaʿat wa taʿlīq Muḥammad al-ʿarūsī al-maṭwī. Taḥqīqāt Ḥasan Ḥusnī ʿabd al-wahhāb, no. 16. Tūnus: Dār al-kutub ash-sharqiyya, 1972.

Ibn Sīnā. *Al-qānūn fī aṭ-ṭib*. Waḍaʿa ḥawāshīh Muḥammad ʾAmīn aḍ-ḍanāwī. Bayrūt: Dār al-kutub al-ʿilmiyya, 1999.

Ibn Tigillāt. "*ʾIthmid al-ʿaynayn wa nuzhatu an-nāẓirayn fī manāqibi al-ʾakhawayn*." Taḥqīq Muḥammad Rābitat ad-dīn. Risāla li nayli diblūm ad-dirāsāt al-ʿulyā fī at-tārīkh, Jāmiʿat Muḥammad al-khāmis, Kulliyat al-ʾādāb wa al-ʿulūm al-insāniyya bi ar-ribāṭ, 1986.

ʿĪsā, Luṭfī. *Madkhal li dirāsat mumayyizāt adh-dhihniyya al-maghāribiyya khilāla al-qarn as-sābiʿ ʿashar*. Tūnus: Sarās li an-nashr, 1994.

Jong, Mayke de. *In Samuel's image: child oblation in the early medieval West*. Leiden: Brill, 1996.

Laṭīf, Muḥmmād. *Aṭ-ṭufūla wa at-tanshiʾa al-ʾijtimāʿiyya bi al-Maghrib al-ʾaqṣā khilāla al-ʿaṣr al-wasīṭ*. Ar-ribāṭ: Manshūrāt rabiṭat al-ʾAmal li aṭ-ṭufūla al-Maghribiyya, 2015.

_____. "*Al-ḥayāt al-ʾusariyya bi al-Maghrib al-ʾaqṣā khilāla al-ʿaṣr al-Marīnī 668-869 hijriyya /1269-1465 mīlādiyya*." ʾUṭrūḥa li nayli ad-duktūrāh fī at-tārīkh, Jāmiʿat al-Mawlā ʾIsmāʿīl, Kulliyat al-ʾādāb wa al-ʿulūm al-insāniyya, Maknās, 2007-2008.

_____. "Taʿlīm Aṭ-ṭifl wa ʿalāqatuhu bi waḍʿiyyat al-ʾusra fī Maghrib al-qarn as-sādis al-hijrī/ath-thānī ʿashar al-mīlādī." *Majallat ʾAmal: at-tārīkh, ath-thaqāfa, al-mujtamaʿ* 30 (2004): 17-25.

Laurent, Sylvie. *Naître au Moyen Age. De la conception à la naissance: la grossesse et l'accouchement (XIIe-XVe siècle)*. Paris: Le Léopard d'Or, 1989.

Lett, Didier. *L'enfant des miracles. Enfance et société au Moyen Âge (XIIe-XIIIe siècles)*. Paris: Aubier, 1997.

Majhūl. *At-taʿrīf bi ash-shaykh Aḥmad al-burnusī al-maʿrūf bi Zarrūq*. Makhṭūṭ al-khizāna al-ʿāmma, ar-ribāṭ, no 2100 d (ḍimna majmūʿ), 279-83.

_____. *Kitāb al-aghdiya wa ḥifẓ aṣ-ṣiḥḥa wa tadbīr al-ʾaṭfāl*. Makhṭūṭ al-khizāna al-ḥasaniyya, ar-ribāṭ, no. 13150 z.

Morel, Marie-France. "Becchi (Egle), Julia (Dominique) - Histoire de l'enfance. Tome I: De l'Antiquité au *XVII* siècle. Tome II: Du *XVIII* siècle à nos jours." *Histoire de l'éducation* 89 (2001): 127-32.

Muḥmmād al-ḥāj, Qāsim. "ʾAqdam makhṭūṭa bi al-lugha al-ʿarabiyya fī ṭib al-ʾaṭfāl." *Majallat al-mawrid* 4, al-mujallad 6 (1398/1977): 486-7.

Nashāṭ, Musṭafā. "Aṭ-ṭifl wa aṭ-ṭufūla bi bi al-Maghrib al-wasīṭ: namādij mina al-ʿaṣr al-Marīnī." ḍimna nadwat *al-ʾusra al-badawiyya fī tārīkh al-Maghrib*. Manshūrāt majmūʾat al-bahth fī tārīkh al-bawādī al-Maghribiyya, silsilat nadawāt wa munāẓarāt 2, 241-51. Al-Qunaṭira: Jāmiʿat ʾIbn Ṭufayl, Kulliyat al-ʾādāb wa al-ʿulūm al-insāniyya, 2006.

Riché, Pierre et Danièle Alexandre-Bidon. *L'enfance au Moyen Âge*. Paris: Le Seuil - Bibliothèque Nationale de France, 1994.

Riché, Pierre. *Être enfant au Moyen Âge Anthologie de textes consacrés à la vie de l'enfant du Vème au XVème siècle*. Collection: Pédagogues du monde entier. Paris: Éd. Fabert, 2010.

_____. *Education et culture dans l'Occident barbare VIe-VIIIe siècles*. Paris: Éd. Du Seuil, 1962.

Shahar, Shulamith. *Childhood in the Middle Ages*. London-New York: Routledge, 1990.

Sigal, Pierre-André. "L'histoire de l'enfant au Moyen âge: une recherche en plein essor." *Histoire de l'éducation* 81 (janvier 1999): 3-21.

Tītāw, Ḥamīd. *Al-ḥarb wa al-mujtamaʿ bi al-Maghrib al-ʾaqṣā khilāla al-ʿaṣr al-Marīnī (609-869 hijriyya/1212-1465 mīlādiyya. ʾIshām fī dirāsat ʾinʿikāsāt al-ḥarb ʿalā al-binyāt al-ʾiqtiṣādiyya wa al-ijtimāʿiyya wa adh-dhihniyya*. Silsilat Abḥāth 1. Ad-dār al-bayḍāʾ: Manshūrāt Muʾassasat al-malik ʿabd al-ʿAzīz ʾāl Saʿūd li ad-dirāsāt al-ʾislāmiyya wa al-ʿulūm al-insāniyya, 2009.

_____. ʿUddatu al-murīdi aṣ-ṣādiq min asbābi al-maqti fī bayāni ṭarīqi al-qaṣdi wa dhikri ḥawādithi al-waqti. Dirāsat wa taḥqīq ʾIdrīs ʿAzzūzī. ḍimna kitāb bi ash-shaykh Aḥmad Zarrūq, ʾĀrāʾuhu al-ʾiṣlāḥiyya. Ar-ribāṭ: Manshūrāt wizārat al-awqāf wa ash-shuʾūn al-islāmiyya, 1998.

Zarrūq, Aḥmad. *Kunnāsha*. Makhṭūṭ al-khizāna al-ʿāmma, ar-ribāṭ, no 1385 k (ḍimna majmūʿ), 57-103.

العنوان: الطّفولة في تاريخ المغرب الوسيط: قضايا ومقاربات

يتلخص ما تقترحه هذه الدّراسة، في استحضار المكانة المعتبرة التي تبوأها الطفل ضمن أسئلة ومشاغل المؤرخ المعاصر في الجامعات الغربية، وخاصة منها الأنگلوساكسونية، منذ ما يناهز نصف قرن، وبالمقابل التنبيه إلى وضع هذا الموضوع بالنسبة للبحث التاريخي المغربي، مع وضع الأصبع على أصناف محددة من الرّصيد المصدري المتّصل بتاريخ الطّفل بمغرب العصر الوسيط، وتحديد بعض القضايا الثقافية والاجتماعية التي تثيرها وتقديم ملاحظات عما يحيط استدرار مادتها من مشاكل منهجية، وذلک من أجل الإسهام في محاولات التّأسيس لتاريخ الطّفولة ببلاد المغرب، والإجابة عن إمكانيات وحدود كتابته، وفي مستوى آخر، تحقيق طموح مراجعة العزوف المفرط الذي كثيرا ما أبداه أخصائيو التاريخ المغاربيين تجاه أبحاث الأسرة بشكل عام، وأبحاث الطّفولة على وجه التخصيص.

الكلمات المفتاحية: الطفل، الطفولة، الأسرة، تاريخ وسيط، الغرب الإسلامي.

Résumé: L'enfance dans l'histoire du Maghreb médiéval: questionnements et approches

La présente étude a pour but d'examiner la place privilégiée que l'enfance a occupée dans les questions et les préoccupations de l'historien contemporain dans les universités occidentales, notamment anglo-saxonnes, depuis près d'un demi-siècle. En outre, cette tentative vise également à attirer l'attention sur l'état général de ce sujet par rapport à la recherche historique marocaine, en se concentrant sur des types précis de sources référentielles relatifs à l'histoire de l'enfance au Maroc de l'époque médiévale, tout en précisant certains faits culturels et sociologiques qu'ils soulèvent et présenter des observations concernant les problèmes méthodologiques qui cernent sa matière. Tout ceci a pour but de contribuer au fondement d'une Histoire de l'Enfance dans les pays du Maghreb et de répondre à la possibilité et aux limites de son enregistrement, et à un autre niveau, réaliser l'ambition de revoir le désistement que les spécialistes de l'histoire maghrébins témoignent à l'égard de la recherche en matière de la famille en général et de l'enfance en particulier.

Mots-clés: enfant, enfance, famille, histoire médiéval, Maghreb.